الكنـاية عند الحسن بن رشيق القيرواني
من منظار الأسلوبيات

أ.فوزية عساسلة، قسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة باجي مختار - عنابة

ملخص

عرف العصر الحديث عدة مناهج مساعدة على الغوص في أغوار اللغـة ، والكشف عن العديد من القضايا التي كانت غامضة في عصور خلـت، منـها : اللسانيات، والسيميائيات، والأسلوبيات. وتناولها العلماء بالتطبيق ، حتى ظُن أنهـا خير ما عرف عند الإنسانية من وسائل .

وراح هؤلاء يولعون بها ، متناسين أن بعض علماء العصور السالفة طرقوا كثيرا من المسائل : كالصور البيانية ، ونخص بالذكر منهم : الحسن بن رشيق القيرواني (ت 453هـ) صاحب كتاب العمدة. ولقد آثرنا أن نخص الكناية في كتابـه بدراسـة نتناولها في ضوء منجزات الأسلوبيات، واستنتجنا أنها مناورة حاذقة مـن طـرف المتكلم للوصول إلى غرضه المنشود في خفية وتستر ، كما هي عملية استبدال دال بآخر ، وتحمل وجهين: الأول غير مقصود، والثاني مقصود، وتتجاور فيها الدوال لتؤدي معنى، ولا علاقة للمشابهة فيها ، وهي أيضا عملية تحويل المجرد إلى محسوس

Résumé :

L'ère moderne a connu plusieurs théories, qui ont aidé à s'infiltrer dans les profondeurs de la langue, et de lever le voile sur plusieurs problèmes restés jusque là inexpliqués, dont: la linguistique, la sémiotique, et la stylistique, qui ont été appliquées à tel point qu'on pu croire qu'elles sont ce qui a été fait de mieux par l'humanité.

A cause de cela, elles ont connu un tel engouement chez les chercheurs, à un tel point qu'ils oublient que les anciens ont traité plusieurs sujets, comme les images (bayanias), parmi eux Al-Hasan Ibn

مجلة منتدى الأستاذ: المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية .سطيف المنصورة.25000. قسنطينة. الجزائر
الهاتف /الفاكس :98 29 62 31 (0) 213 00
e-mail :bouhrourh@yahoo.fr / bouhrourh@gmail.com

Rachik Al-Kayrawani (mort en 453 de l'Hégire) l'auteur du livre "Al-Oumda". Nous avons choisi d'étudier la périphrase dans ce livre à la lumière des résultats obtenus par la stylistique, et on a conclu que la périphrase chez Ibn Rachik est une manœuvre intelligente de la part du locuteur pour atteindre son but en cachette, c'est aussi le remplacement d'un signifiant par un autre, elle a donc deux facettes : l'un indirect, l'autre voulu, elle est un transfert du concret à l'abstrait.

من الأساليب اللغوية التي كثر تداولها في اللغات الإنسانية الكناية[1]؛ لما فيها من إعراض عن التصريح إلى الإخفاء والتستر ، فهي تؤسَّس على بنيتين : إحداهما سطحية والأخرى عميقة ؛ بحيث تُبدي كل بنية معنى يجاور المعنى الآخر . وبعبارة أدق هي المعاني الثواني التي تتولد عن المعاني الأول[2].

وقد وجدت الكناية حظا وافرا من التحليل في كتاب العمدة ؛ إذ تناولها ابن رشيق مفرقة هنا وهناك دون أن يجعل لها بابا خاصا بها ، ورغم ذلك فقد بسط قضاياها بدقة . وحاولنا تسليط ضوء المنهج الأسلوبي عليها ، لنتوصل إلى ما يلي :

1- الكناية مناورة حاذقة للهروب من الرقابة

يقع المتكلم أحيانا في مأزق لغوي يصعب عليه أداء المعنى المراد والتواصل الصريح ، فيلجأ إلى استعمال أساليب أخرى بغية تحقيق هدفه ، سواء إمتاع الآخر أو النيل منه ، والهدف المشترك بين الأول والثاني هو الإثارة والتأثير .

يقول مجنون ليلى من (الطويل) :

لَقَدْ كُنْتُ أَعْلُو حُبَّ لَيلَى فلم يَزَلْ ... بِي النقْضُ والإبرامُ حتى علانيا [3]

أراد الشاعر في هذا البيت أن يعبّر عن غضبه وألمه الشديد ، فلم يذكر ذلك صراحة ، وفضل العبارات التالية : (كنت أعلو الحب ، و لم أزل ، حتى علانيا) ؛ أي كنت صبورا على ألم الحب مدة طويلة حتى أُصبتُ بالعلّة التي لا

شفاء منها ، فأفضى بيَ كتمان حبي إلى الاعتلال وانهيار حالتي النفسية ، وفي هذه الكناية إشارة خفية إلى تذمره ورغبته في الخروج من الحالة التي كره البقاء عليها ، ولم يقل ذلك صراحة ، بل أوحى إليه من خلال التعابير السابقة ، وفي هذه العملية نوع من الفرار من الحقيقة التي يعانيها الشاعر ؛ أي رغبته في التخلص من الألم ، والالتقاء بالمرأة التي يحبها ، وإن كان الأمر خفية عن أهلها ، وخشيته إيلامها وثورة أهلها عليه دفعاه إلى استعمال أذكى الأساليب البلاغية على الإطلاق وهو الكناية ، الذي تمكن خلاله من الهروب من الرقابة[4] الذاتية والاجتماعية على السواء ، وهذه المناورة خلقت أجمل صور البلاغة ، لأن فيها تنفيسا لخوالج الشاعر ، وترويحا عن ذاته، ووصولا إلى غايته ؛ أي نجاح الرسالة الموجهة إلى المتلقي ، أكان رغبة في إيذائه ، أم حصولا على إعجابه ، أم تأثيرا فيه بطريقة غير مباشرة ؛ لأن الشاعر خشي المواجهة الصريحة مع غيره ومع نفسه . وبذلك كانت الكناية في هذا الموضع وسيلة للمناورة والفوز بالمراد دون وسائط .

يقول ابن رشيق : "الكناية من أنواع الإشارة ، والإشارة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الحاذق الماهر"[5] .

وقوله هذا يحيلنا إلى عدّ الكناية وسيلة خفية للإشارة إلى معان عميقة ، وقضايا دقيقة ، ولا تُأتى إلا للحاذق الماهر ، الذي يتقن إصابة الهدف ؛ أي التعبير عن مكامن النفس والوصول إلى المتلقي المنشود دون إثارته سلبا ، بل جعله يتفاعل إيجابا .

2- الكناية استبدال دال بآخر

يلجأ المتكلم أحيانا إلى ستر رسالته اللغوية ليجعلها مفتوحة أمام المخاطَب . ولهذا السبب وُجدَ للغة مستويين : أول غير مقصود وثاني مقصود . مثال ذلك قول كعب بن زهير من (البسيط) :

يَمشُونَ مَشْيَ الجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضربٌ إذَا عرَّد السودُ التنابيلُ[6]

في البيت عرّض الشاعر بالأنصار ؛ إذ استبدل صفة الخشونة وقلة الفهم بعبارة (مشي الجمال الزهر) ، و لم يصرّح بلفظ (الأنصار) مفضّلا إشراك المخاطَب معه في تأويل دلالة هذه الكناية ، وجعل الناس جميعا على قدر من الذكاء .

يقول ابن رشيق : "[الكناية] تعريض خفي يوهم السامع أنه أراد شيئا وإنما أراد غيره"[7] .

والإيهام يأتي من طريق استبدال الدوال ؛ إذ يورِد المتكلم معنى للفظ ، ويقصِد من ورائه معنى آخر غير الذي يدل عليه في الحقيقة .

قال تعالى : {ذُقْ إِنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الكَرِيم} الدخان : 49 ، يعقّب ابن رشيق على هذه الآية الكريمة ، بقوله : "من أفضل التعريض أن يضع الله سبحانه وتعالى مكان (أبا لهب ، العزيز الكريم) ؛ وذلك على معنى الاستهزاء"[8] . ومنه فالكناية إبدال دال بآخر بغية إيصال مضمون خطاب ما بغض النظر عن محتواه الأخلاقي أو الاجتماعي أو السياسي . والتعبير بالكناية أشد تأثيرا في النفوس ، وأبلغ إصابة للمراد من التعبير المباشر الصريح ؛ حيث تقابل الدوال مداليلها ، فقوله تعالى (ذق أنت) خطاب موجه إلى العالمين ، وخُصَّ أبا لهب به لما فيه من السخرية والتهوين . ومنه فالكناية من الأساليب التي يعدُّها ابن رشيق إشارات تزعزع الشعور وتهز الأحاسيس . ومثله بيت كعب بن زهير سالف الذكر ، وقد عقّب ابن رشيق على شدّة وقع هذا في النفوس بقوله : "فغضب الأنصار"[9] .

3- الكناية تعبير ومحتوى

يعبر فردينان ده سوسير "Ferdinand de Saussure" عن الدال والمدلول بمستوى الأصوات ومستوى الأفكار ، يقول هلمسلف" Helmslif "إننا نعت مصطلحا واحدا بنعوت متعددة ، نقول من جهة :باطن التعبير ووجه التعبير ، ومن جهة أخرى باطن المحتوى ووجه المحتوى ، وقد وقع اختيارنا على هذه

المصطلحات بناء على تشكيل سوسير لها في الأصل ، فقد قال بمستوى الأفكار، ومحتوى الأصوات"[10] .

ومعنى هذا أن الكناية هي ما يُفهم من المستوى الثاني الذي يحمله المستوى الأول ، والمستوى الأول هو سطح اللغة ؛ إذ يحمل هذا السطح الدوال ، التي بدورها تحمل مدلولات تدل على مدلولات أخرى ، وهي المقصودة من الكناية .
مثال ذلك قوله تعالى : {كانَا يأْكُلانِ الطَّعامَ} المائدة : 75 ، فالمعنى السطحي للدوال (كانا، ويأكلان، والطعام) يوحي أن (عيسى ومريم) عليهما السلام قد جاعا فأكلا . لكن ارتفاع الله عز وجل عن البذاءة ، جعله يعبّر عن طرح الطعام بأكله . فالدوال المنطوقة أو المقروءة أعطت مدلولات معينة ، وهذه الأخيرة أوحت إلى مدلولات ثانية ، هي المقصودة من الكناية.

وقوله تعالى : {فلمَّا تغشَّاها} الأعراف : 189 ، كناية عما يكون بين المرأة والرجل . لكن التعبير الكنائي في هذه الآية جعله أكثر دلالة وجمالا ؛ إذ تدل الآية الكريمة في مستوى البنية السطحية عن الغشاوة ، وهي ما يقع من حجاب بين الشيء والشيء . وتغشّى فلان أي جعله يتحول من حالته الطبيعية إلى حالة أخرى ، وهذه العملية هي القصد من الآية الكريمة ؛ إذ تحولت مريم عليها السلام أمًا -بإنجابها سيدنا عيسى عليه السلام- بعد أن لم تكن ، وهذا التعبير دلالة على الانتقال من حالة إلى آخرى ، فالمعنى الأول قادنا إلى معنى ثان ، وقد عبر رولان بارث "Roland Barthes" عن ذلك بقوله: "إذا كانت دلالة المطابقة تنطوي على دال ومدلول ، فإن دلالة الإيحاء تمثل انتقالا بالإشارة ، من كونها عناقا بين الدال والمدلول ، إلى كونها دالا لمدلول آخر"[11] . ومنه فالمستوى السطحي في الكناية له أهمية كبيرة ، كونه الجسر الذي يمكن من خلاله الانتقال إلى المحتوى؛ أي الوجه المزدوج للتعبير . فإذا كان لفظ "تغشّاها" في الآية الكريمة يعني الانتقال من حالة إلى أخرى في المعجم اللغوي ، فإنه قد نقلنا إلى معنى آخر غير الذي عبّر عنه السطح ، وهو الانتقال بمريم عليها السلام من حالة إلى حالة أخرى تختلف عن

الأولى ، وهي بالتالي مرحلة أضافت إليها حياة جديدة لم تعهدها من قبل ، وظروفا مختلفة عما عاشته قبل التغطية .

يقول ابن رشيق : "ما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالا محضا فهو مجاز ، لاحتماله وجوه التأويل"[12] ؛ والمعنى أنه عدّ الكناية مجازا ، لأنها ليست حقيقة ، وليست محالا ، وتحتمل التأويل لأجل الوصول إلى المعنى المقصود ؛ أي أن المعنى السطحي لا يُظهر الحقيقة ، بل وجب تأويله للوصول إلى المعنى العميق ، وهو المحتوى المقصود من وراء الكناية . فالكناية عند ابن رشيق مستوى سطحي يُتلفظ أو يُقرأ أو يُسمع ، ومستوى عميق يُفهم ، وهو المقصود من الرسالة . وهو بعبارة أوضح (ما عبّر عنه هلمسليف بالمحتوى ، وما اعتبره ابن رشيق تأويلا).

4- الكناية صورة بلاغية أسلوبية

تؤدي إلى الإقناع ، وتحريك الشعور ، وخلق ردة فعل لدى المتلقي[13] معنى ذلك أن المتكلم قبل أن يصوغ خطابه ، يلجأ إلى اختيار الأسلوب الذي يراه ناجعا للتأثير في المخاطَب ، والكناية إحدى هذه الوسائل . وهذا كعب بن زهير يقول من (البسيط):

فِي فِتيةٍ مِنْ قريشٍ قال قائِلُهم بِبَطْنِ مكةَ لما أسلمُوا زولوا[14]

في قوله (زولوا) نوع من الشدة والأمر والاختفاء على وجه السرعة ، لكن ذلك كان المعنى السطحي للكناية ، وهو غير مقصود ، والقصد من وراء المعنى السطحي المدح ، والإعجاب ، والحب الخالص من كل سوء . من خلال هذا الأسلوب الخفي وصل الشاعر إلى إدهاش المتلقي ، وإحداث المفاجأة عند سماع البيت أول وهلة ، وإحداث شعورا بالرضى يوازي الشعور بالغضب المفاجئ ، هذا ما يحرك الشعور ، ويحدث ردة فعل قوية لا يحدثها التعبير العادي كما لو قال : (اذهبوا ، أو ارحلوا، أو نفذوا الأمر) . يقول ابن رشيق : "كل ما احتمل التأويل فهو مجاز ، والمجاز أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع"[15] .

ومن ذلك قول عنترة (من الكامل) :

بَطَلٌ كأنَّ ثيابُهُ في سرْحَةٍ يَحْذَى نعَالَ السِّبْتِ ليسَ بتوأَمِ[16]

وقوله (نعال السبت) كناية عن المِلك ، لأن النّعال عندهم لا يحتذيها إلا الشريف على حدّ تعبير ابن رشيق[17] ، وهي إشارة مليحة ، ولمحة طريفة ، وتلويح بديع ، وكلها في نظره من باب الإشارة المشتركة مع الكناية في إحداث الانفعال ، والدخول إلى القلوب دون استئذان.

5- الكناية علاقة تجاور بين الدوال

يقول هنريش بليث "Heinrich R. Plett": إن "مجازات التشابه هي الاستعارات، ومجازات التجاور هي الكنايات"[18] . يحيلنا هذا القول إلى نتيجة مفادها أن الكناية لا علاقة لها بالتشابه ، وإنما هي علاقة مجاوَرَة بين الدوال . ويمكن شرح ذلك من خلال قوله تعالى : {كانَا يأْكُلانِ الطَّعامَ} (المائدة : 75) ، فأكْلُ الطّعام مجاور لطرحه ، ولا وجود لعلاقة المشابهة بين الأول والثاني ؛ فالأول غايته الغذاء ، والثاني غايته التخلص منه . والكناية تعويض بين مدلول أول غير مقصود ، ومدلول ثان مقصود ، وفي هذه الطريقة -تعويض المجاورة- إثارة لرغبة المتلقي في البحث عن كشف رموز الرسالة من جهة ، وزرع الراحة في المتكلم أثناء التعبير عن مكنوناته من طريق الستر والإخفاء من جهة ثانية .

يقول ابن رشيق : "الكناية ثلاثة أوجه : [من بينها] الرغبة عن اللفظ الخسيس"[19] ؛ أي الابتعاد عن التصريح بما يستكره سماعه ، وهي قيمة أخلاقية مُثلى . ومنه قوله تعالى : {إنَّ هَذَا أَخِي لهُ تِسْعٌ وتِسعونَ نَعْجَةً ، ولِي نَعْجَةٌ واحِدةٌ} (ص : 23) يقول ابن رشيق والنعجة كناية عن المرأة[20]، ولا علاقة للتشابه بين المرأة والنعجة إلا رغبة العرب في الستر والإخفاء ، فوضعوا النعجة مكان المرأة ، لأن الجامع بينهما كون كل منهما أنثى .

6- الكناية تعبير غير عادي

قد يُظن أن الكناية تعبير سطحي يَتَلَفَّظُه الساذج ، وأن الإتيان بصورها أمر هين[21] . لكن الأمر غير ذلك وهو في غاية التعقيد ؛ لأن في علاقات ما يمنع سهولة الإتيان بها ، ويؤكد البعض على صعوبة هذا الأمر ، فيقول : "إن الإشارة التي تنحرف عن المعتاد القياسي في حياتنا الذهنية ، لابد وأن يكون لها انحراف لغوي مرافق عن الاستعمال العادي"[22] .

ويحيلنا هذا إلى الحديث عن اختراع أو إبداع الصور البيانية ، التي لا تؤتى إلا لحاذق ماهر . ويعبر ابن رشيق عن هذه الفكرة فيقول : "وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرِّز ، والحاذق الماهر"[23] ، ومثاله قول امرئ القيس من (الطويل) :

ظَلِلتُ ردائي فوقَ رأسِي قاعِدًا أَعُدُّ الحصى ما تنْقَضِي عَبَراتِي[24]

فعبارة (أعدّ الحصى) كناية عن الحزن الشديد ، وإن كان الكثير منّا يفعلها لكنه لن يأت على ذكرها ضمن حُلَّة من الألفاظ جمعت بهذه الطريقة البديعة . وهي دلالة على عبقرية صاحبها ، وشدّة ذكائه ، وتفطنه لصياغة ما يشعر به ضمن هذا البيت المعبِّر المصيب للهدف البلاغي .

7- الكناية إخراج المعنى المجرد إلى معنى محسوس

إن تطور اللغة غالبا ما يُنْتَقَل فيه من المحسوس إلى المجرد ، لكن الصور البيانية من الوسائل التي تعمل على تقريب المفاهيم ، وتصوير المقامات البعيدة عن العين المجردة بصورة الملموس الذي يمكن مشاهدته ، ومسكه بأصابع اليد . يقول تعالى شأنه : {وأُحِيطَ بِثَمْرِهِ فأصبَحَ يُقَلِّبُ كفَّيْهِ على ما أَنْفَقَ فيهَا وهيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا} الكهف : 42 ، المعروف أن الحسرة والندم صفتان مجردتان ، جسّدهما الله تعالى في صورة يمكن مشاهدتها ، وكأن الرجل يمسك بالحسرة ويحطّمها بين يديه ، وهذا الصنيع يشعره بالانتقام مما جرى أو معاقبة ألمه ، فهو يمسك به ويحاول التعويض بتقليب كفّيه . ومنه نفهم أن الكناية إخراج للمجرد من صورته البعيدة إلى صورة قريبة محسوسة .

ويقرب من ذلك قول عمر بن معد يكرب من (الكامل) :

الضَّاربينَ بكُلِّ أبيضَ مِخْذَمٍ والطاعنينَ مجامعَ الأضغانِ[25]

والقصد بعبارة (مجامع الأضغان) القلب . وحقيقة الأمر أن القلب لا تجتمع فيه الضغائن وحسب بل الخيرات أيضا . والتعبير بالقلب عن الضغينة مجاز ؛ لأن جسم الإنسان معقد التفاصيل ، وروحه أكثر تعقيدا ، ولا يمكن حضور الضغينة في منطقة معينة منه . وغرض الكناية في البيت تجسيد معاني الكراهية والحقد التي يحملها العدو في قلبه ، رغبة في تحطيم الآخر ، لكن فرسان قبيلة الشاعر لم يمنحوهم الفرصة ، بل قضوا على هذه المشاعر العدائية بضربهم المباشر على القلوب الحاقدة ، حتى يتخلصوا من شرهم ؛ وفيه تجسيد لمشاعر العدو التي تجتمع في منطقة واحدة هي القلب .

وقول المتنبي من (البسيط) :

كَتمتُ حبِّكِ حتَّى مِنكِ تكْرِمَةً ثمَّ استوَى فيهِ إسراري وإعلاني

كأنَّه زادَ حتَّى فاضَ عنَ جَسَدِي فَصارَ سُقْمِي به في جسم كِتْمَانِي[26]

قوله (زاد حتى فاض عن جسدي) كناية عن التعب ، والإفراط في الكتمان وعدم التحمّل، فيُفْشَى السرُّ ويُعْلَن عنه . ولم يذكر الشاعر ذاك صراحة ، بل عبّر عنه بصورة جعلت الأحاسيس شيئا ملموسا يمكن رؤيته من خلال الجسم ، فصيّر المجرد مصير المحسوس . يقول ابن رشيق: "في بيت المتنبي تلويح باشتهار السرّ ، فعبّر عنه إذ أخفاه وعقده"[27] ؛ وفي إخفاء السرّ وعقده ، إشارة مليحة إلى أن الأمر لم يعد مخفيا ولا سرا . ورغبة الشاعر في كتمان السرّ عنوة فاق حدود طاقته حتى استوى عنده الكتمان والجهر ، فإذا هو حاول كتمانه ، فقد أعلن عنه.

ويمكن من خلال ما سبق تلخيص درس ابن رشيق للكناية في النقاط التالية :

- انطلق ابن رشيق أحيانا من مفهوم الكناية البلاغي ، ثم ذكر الشاهد مثل قوله : "والكناية على ثلاثة أوجه : ... والثاني التعمية والتغطية

...والثالث الرغبة عن اللفظ الخسيس ، كقوله تعالى : (وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) (فصلت : 21) كناية عن الفروج"[28] .

وأحيانا أخرى من الشاهد نحو المفهوم بقوله : "الكناية مثل قوله تعالى : (كانَا يأكُلانِ الطَّعامَ) (المائدة: 75) كناية عما يكون عنه حاجة الإنسان"[29] .

وقد جاء في الدراسات الأسلوبية أن لها طريقتين في التحليل : "احداهما تعتمد على البدء بالصورة والبحث عن تأثيرها ، والأخرى تتمثل في محاولة الانطلاق من هذا التأثير نفسه ، وتحديد الوسائل التي تفضي إليه"[30] . وهي طريقة فعّالة في كشف مواطن الجمال ، والتأثير اللغوي في المتلقي، لأن المبدِع مشحون بانفعالات يضمّنها خطابَه ، والمتلقي يُشحَن بانفعالات نابّحة عن تلقيه الخطاب[31] .

- -اهتم ابن رشيق بالمتكلم ، والمتلقي ، والرسالة بوجه عام ، لمعرفته بأهمية هذه العناصر جميعا في اكتمال النظرة النقدية ، والرؤية الأسلوبية للأدب ، بصفته ناقدا بلاغيا ، وعالما أسلوبيا ؛ حيث يقول: "فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما [الكناية] من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز ، لاحتماله وجوه التأويل ، وموقعه في القلوب والأسماع"[32] . وقد عدّ ابن رشيق القيرواني الكناية إحدى الوسائل المجازية التي يستعملها المتكلم وهو طرف في التواصل ، لتأكده أنها خير تركيب لغوي للتعبير عما يحس به المتلقي في قلبه ، ويرضى عنه فكره في تأليفها ، ويقع الموقع الحسن في وجدانه ، وأن الكلام الحسن قادر على ربط حبل التواصل بينه وبين المرسَل إليه . وعليه فتواجد هذه العناصر عند ابن رشيق يحقق البلاغة ، وهي من مفاخر العرب أكثر من افتخارهم بالقيم المادية .
- -الكناية عند صاحب العمدة خير آمن للمتكلم من غضب المتلقي ؛ إذ يُمَرِّرُ خلالها رسالته في أمان وطُمأنينة ، وإن كانت مشحونة بالألم والسخط ، إلا أنها تجد الموقع الحسن عند المتلقين لظُرْفِ مَسْلَكِها ، وحُسْن مَأتاها . يقول تعالى : (ذُقْ إِنَّكَ أنتَ العزيزُ الكريمُ) (الدخان : 49) ، في هذه الكناية شحنة سخط وغضب الله جل ثناؤه من أبي لهب ،

فبشّره بعذاب أليم وقال له : (ذق) أي ذق نتائج أفعالك السيئة مرارة الألم ، ولكنه تلاها بقوله (أنت العزيز الكريم) ، فكانت هذه العبارة بمثابة السخرية اللاذعة ، فأذابت جليد الحقد عند أبي لهب ، لتُحَوِّله من شرير ماكر مفسد ، إلى نادم متألم حزين معذب .

- لم يُعطِ الرجلُ الكناية مفهوما محددا ، بل جاءت مفاهيمه موزعة عبر أبواب : كباب المجاز، وباب الإشارة ، وباب التتبيع . ومنها قوله : "التشبيه والاستعارة ...[والكناية] داخلة تحت المجاز، لاحتماله التأويل ...[وهي] من أنواع الإشارة [إذ] يُرْغَب فيها عن اللفظ الخسيس"[33] .

ويضيف في باب التتبيع : "من أنواع الإشارة التتبيع ... وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ، ويذكر ما يتبعه في الصفة ، وينوب عنه في الدلالة عليه"[34] . وضرب أمثلة لذلك ، ذاهبا إلى أن أول من جاء بهذا النوع امرؤ القيس ؛ إذ يقول في وصف امرأة من (الكامل) :

ويُضحِي فتيتُ المسكِ فوقَ فِراشِهَا نَؤومُ الضُّحى لَمْ تنتطِقْ عنْ تفضُّلِ[35]

ومنهج ابن رشيق هذا يدل على أن علم البلاغة لم يكتمل تكوينه في زمانه . لكن ذلك لا يمنع أن كان له فضل الجمع والترتيب والشرح والتعقيب .

ونرى من خلال الأمثلة السابقة مدى اتساع ابن رشيق في الكشف عن الصور البيانية ، وتتبعها أينما كانت ، وكيفما وجدت ، وعلى ما دلّت ، اتباع الكاشف الفاحص ، والواصف الناقد ، العارف بخبايا الأساليب اللغوية ومراميها .

الهوامش والإحالات

(1) -جاء في اللسان : الكنية جمعها كنى ، وهي على ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكني عن الشيء الذي يستقبح ذكره ، والثاني أن يكني الرجل باسم تعظيما ، والثالث : أن تقوم الكنية مقام الاسم ، فيعرف صاحبها بها مثل : أبي لهب ، والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وكنى عن الأمر بغيره ، يكني كناية : يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه ، نحو : الرفث ، الغائط ...إلخ .
ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، مادة (ك،ن،ي) ، ص 306 .
ويقابل الكناية باللغة الفرنسية : La périphrase ، وجاءت في معجم اللسانية لبسام بركة La métonymie بمعنى المجاز المرسل فسوى بينهما ، ص 131.
وقد رأينا أن نترجم مصطلح الكناية بالمصطلح الفرنسي Périphrase .
(2)- بشير كحيل ، الكناية في البلاغة العربية ، رسالة دكتوراه (مخطوط) ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، 2002-2001 ، ص 1.
(3)-ديوان مجنون ليلى : شرح يوسف فرحات ، ط4 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1999، ص 204 ، في الديوان (وقد كنت ، بدل لقد كنت) .
(4)-سعيد الغانمي ، التحليل السيميولوجي للاستعارة ، مجلة الفكر العربي ، عدد 64-65 ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، باريس ، ماي-جوان ، 1989 ، ص 80.
(5)-ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصّله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ،ج1 ، ط5 ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، 1981، ص 304.
(6)-ديوان كعب بن زهير ، حققه وشرحه وقدم له : علي فاعور ، ط1 ، ديوان الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1987، ص 76.
(7)-العمدة ، مصدر سابق ، ج1 ، 304.
(8)-المصدر نفسه 1 ، 304.
(9)-العمدة ، مصدر سابق ، 1 ، ص304.
(10)-L.Hjelmsleve : Prolégomènes, p 84 ، نقلا عن : محمد الحناش : البنوية في اللسانيات (الحلقة الأولى) ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1980 ، ص 235.
(11)-سعيد الغانمي ، التحليل السيميولوجي للاستعارة ، مرجع سابق ، ص 72.
(12)-العمدة ، مصدر سابق ، 1 ، 266.
(13)-Michel Le Guern : Sémantique de la Métaphore et de la métonymie, Paris, Larousse, 1973, p 74
نقلا عن بسام بركة ، التحليل الدلالي للصور البيانية عند ميشال لوغران ، مجلة الفكر العربي ، عدد 48-49 ، إصدار مركز الإنماء القومي ، بيروت ، باريس ، شباط 1988، ص 32.
(14)-ديوان كعب بن زهير ، مرجع سابق ، ص 67.
(15)-العمدة ، مصدر سابق ، 1 ، 266.
(16)-القرشي ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ،حققه وضبطه وزاد في شرحه : علي محمد البجاوي ، القسم الأول ، ط1 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، (دت)، ص 458.
(17)-العمدة ، مصدر سابق ، 1 ، 320.
(18)-هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، ترجمة وتقديم وتعليق :محمد العمري ، افريقيا الشرق (المغرب) ، 1999، ص 83.
(19)-العمدة ، مصدر سابق، 1 ، 313.
(20)-المصدر نفسه ، 1 ، 312.
(21)-الأمر لا يتعلق بالصور المبتذلة وإنما ما هو جديد مخترع.

(22)-أوستن ورينيه ويليك : نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، 1982 ، ص 236 ، نقلا عن فتح الله أحمد سليمان ، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، نشر مكتبة الآداب ، القاهرة ، (دت)، ص 21.

(23)-العمدة ، مصدر سابق ، 1 ، 302 ، في حديثه عن الكناية نوع من أنواع الإشارة .

(24)-ديوان امرئ القيس ، حققه وضبط بالشكل أبياته : حنا الفاخوري بموازرة وفاء الشباني ، ط1 ، 1981، ص 192.

(25)-الحاتمي ، الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، 1965 ، ص 106 ، وفي المدونة (بكل أبيض صارم) .

(26)-ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرحه وكتب هوامشه : مصطفى سبتي ، ج1 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص69.

(27)-العمدة ، مصدر سابق ، 1، 305.

(28)-المصدر نفسه ، 1 ، 313.

(29)-المصدر نفسه ، 1 ، 268.

(30)-صلاح فضل : علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985، ص 242.

(31)-عيد بلبع ، أسلوبية السؤال (رؤية في التنظير البلاغي) ، ط1 ، دار الوفاء ، 1999، ص 66.

(32)-العمدة ، مصدر سابق ، 1 ، 266.

(33)-المصدر نفسه ، 266-313.

(34)-المصدر نفسه ، 313.

(35)-ديوان امرئ القيس ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالشمنتري ، (دت) ،ص 79.

المصادر والمراجع

I-المصادر :

1-ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، دار لسان العرب ، بيروت ، لبنان ، (دت) ، المجلد الثالث .

2-ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصّله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد، ج1 ، ط5 ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، 1981.

II-المراجع :

1-الكتب العربية :

3-الحاتمي ، الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1965.

4-محمد الحناش : البنوية في اللسانيات (الحلقة الأولى) ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1980 .

5-عيد بلبع ، أسلوبية السؤال (رؤية في التنظير البلاغي) ، ط1 ، دار الوفاء ، 1999.

6-فتح الله أحمد سليمان ، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، نشر مكتبة الآداب ، القاهرة ، (دت).

7-صلاح فضل : علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985.

2-الكتب المترجمة :

8-هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ،ترجمة وتقديم وتعليق :محمد العمري ، افريقيا الشرق (المغرب) ، 1999.

3-الدواوين :

9-ديوان امرئ القيس ، حققه وضبط بالشكل أبياته : حنا الفاخوري بمؤازرة وفاء الشباني ، ط1 ، 1981.

10-ديوان امرئ القيس ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالشمنتري ، (دت) .

11-ديوان كعب بن زهير ، حققه وشرحه وقدم له : علي فاعور ، ط1 ، ديوان الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1987.

12-ديوان مجنون ليلى : شرح يوسف فرحات ، ط4 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1999.

13-القرشي (أبو زيد بن أبي الخطاب) ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ،القسم الأول ، حققه وضبطه وزاد في شرحه ، علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، (دت).

14-ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرحه وكتب هوامشه : مصطفى سبتي ، ج1 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1986.

4-المجلات :

15-بسام بركة ، التحليل الدلالي للصور البيانية عند ميشال لوغران ، مجلة الفكر العربي ، عدد 48-49 ، إصدار مركز الإنماء القومي ، بيروت ، باريس ، شباط 1988.

16-سعيد الغانمي ، التحليل السيميولوجي للاستعارة ، مجلة الفكر العربي ، عدد 64-65 ، مركز الإنماء القومي ، بيروت، باريس ، ماي-جوان ، 1989.

4-الرسائل :

17- بشير كحيل ، الكناية في البلاغة العربية ، رسالة دكتوراه (مخطوط) ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، 2001-2002.